مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الأدب الإسلامي المفهوم وتاريخية الظهور وقضايا المصطلح

محمد بلقاسم بن جيدل

قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب واللغات- جامعة الجزائر 02- الجزائر
bendjidelm@gmail.com

الملخص-

يعتبر موضوع الأدب الإسلامي من المواضيع التي فرضت نفسها على نطاق واسع من الدراسات الأدبية الحديثة، باعتبار هذا الأدب هو دعوة صريحة إلى ترشيد الأدب عموما، والعربي على وجه الخصوص، وربطه بالقيم الإسلامية الأصيلة، وعليه جاء هذا المقال ليؤطر هذا الموضوع بالوقوف على مفهوم الأدب الإسلامي، وتاريخيته ، مع الوقوف على أهم خصائصه، وكذا أهم القضايا التي يثيرها هذا المصطلح، ومواقف النقاد منه .

الكلمات المفتاحية :

الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني ، الالتزام ، التصور الإسلامي ، الفن الإسلامي، الشعر الإسلامي ، النقد الإسلامي

Islamic Literature; concept,appearance history and issues of the term

Summary-

The subject of Islamic Literature is considered as one of the topics that have imposed themselves on a wide range of modern literary studies,as this literature is an explecit call to the rationalization of literature in general and the Arabic literature in particular,and link it to the inherent islamic values.Thus,this article came to frame the subject by defining the concept of Islamic Literature and its historical development,explaining its most important characteristics, as well as the most important issues raised by this term, and the positions of the critics of it .

المنارة للاستشارات

Key words:Islamic literature,Najib al-Kilani, Commitment,Islamic perspective,Islamic Art,Islamic Poetry,Islamic criticism

تمهيد -

الأدب روح كلّ أمّة ومستودع معارفها،كان ولا يزال ترجمان الإنسانية فيها، على تعدّد صورها وتنوع فكرها وتباين معتقدها، فهو وثيق الصّلة بهذه الحياة الإنسانيّة منذ عمق التاريخ القديم إلى أزل بقاء الإنسان على هذه السطيحة. نالت منه كلّ أمّة حظّها الذي خلّد تاريخها وفكرها، وحفر في وعي البشريّة إرثها الذي يشكّل مع إرث غيرها من الأمم تراكما معرفيا وفنيّا، يعبّر عن تطوّر الوعي البشري عبر حقب الزّمان المتعاقبة. في هذا السّياق كان للأمّة العربية حضورها على مشهد الإبداع، وكان الشعر ديوان أخبارها ومستودع أسرارها، يكفي القارئ أن يستطلع كتب تاريخ آداب العربيّة ليقف على هذا الإرث الحضاري والفنيّ العظيم من العصر الجاهلي إلى حاضرنا المعاصر.

الراصد لتاريخ الأمّة العربيّة الممتدّ عمقا إلى مرحلة ما قبل الإسلام، والمنعطف قيميا إلى منظومة جديدة أسّسها الدين الإسلامي الجديد بعد ظهوره، ثمّ المتعثّر بفترات الترهّل والانحطاط التي فرضتها أسباب عديدة، إلى فترة حديثة تغيّرت فيها معطيات التأسيس الحضاري برافد أصيل ورافد دخيل، لينتج لنا أدب تكاد ملامح الأصالة في بعضه تذوي، وألقها يختفي لتمسّحه على أعتاب غربيّة تتباين مشارب أفكارها عن مصادر حضارة هذه الأمّة التي يشكّل فيها الدّين الإسلامي المصدر الرّئيس. في هذا الزّخم من الأحداث والتّدافع الكبير للأفكار وتململ للكيان العام الذي أنهكته التبعيّة العمياء، يطلع علينا مصطلح الأدب الإسلامي معلنا ميلاد توجّه جديد في الفكر والأدب، يراجع الخطو ويسدّده، فتتباين حوله الآراء وتتعدّد فيه الأقوال وتتغاير منه المواقف بين رافض قد يصل به رفضه إلى شطط التجريم، ومهلّل قد يفرط في رغبة التميّز إلى طلب القطيعة مع جانب من الإرث القديم، وبين هذا وذاك يكون سجال الأفكار ولقاحها بفكر معتدل وطرح متّزن .

المنارة للاستشارات

إن كانت السّطور السابقة القافزة على مراحل التّاريخ قد أسعفتنا أن نُجمل الحديث عن تاريخ الأدب العربي . لأنّه معلوم بالافتراض لدى كل باحث في هذا التاريخ مطّلع عليه . فإنّها لا تسعفنا فيما يأتي حديثا عن الأدب الإسلامي، لأنّه موضوع على تقدّم عمر البحث فيه [1] لا يزال يثير النقاش ويُسيل المداد، في إطار مشروع وعي جديد للأمّة بماضيها وحاضرها استشرافا لمستقبلها .

موضوع الأدب الإسلامي - قبل أن نفصّل الحديث فيه - يستثير نقطة غاية في الأهميّة، يساعد إدراكها على استيعاب الطرح الجديد، وقبول مراجعاته للأدبيّة العربية، هذه الفكرة هي علاقة الأدب بالدّين أو الأدب بالأيديولوجيا، هذه العلاقة - على تقدير الدكتور حسن الأمراني [2] - لم تعد « مثار نزاع أو جدل بين النّاس، ولا يماري في ذلك إلاّ من لا يعرف حقيقة الأدب وحقيقة الدّين، ولا يعرف تاريخ الآداب الإنسانيّة وعلاقتها بالدّين، وإلاّ فمن يستطيع أن يُنكر أنّ الآداب نشأت أصلا في أحضان الدين، كيفما كان ذلك الدّين؟ وهل يقدر الجاحد أن يجحد أثر الدّين في ملاحم اليونان ومآسيها وملاهيها؟ أو أن يفصل بين ملاحم الهند القديمة وبين كتبها المقدّسة؟ ولم يكن أدبنا العربي القديم بدعا بين الآداب، وهذه المعلقات سواء أصحّ خبر تعليقها على أستار الكعبة أم لم يصح شاهدة على تلك العلاقة، فإذا أضفت إلى ذلك حديث العرب عن القوى الخفيّة التي توحي إلى الشعراء زخرف القول من الشياطين والجنّ، والحديث عن واد عبقر وما يتّصل به، ثمّ ما حدث للعرب أنفسهم إبّان الدعوة الإسلاميّة من حيرة الذهن وتشتّت الفكر واضطراب الرأي حول ما يصفون به القرآن الكريم ... فلم يهتدوا إلاّ أن يربطوه بالشّعر والسّحر والكهانة » [3]

---

[1] يعود البحث في الأدب الإسلامي إلى خمسينيات القرن العشرين كما سيأتي ذكره .

[2] الدكتور حسن الأمراني أديب وناقد مغربي، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مكتبها في المغرب.

[3] حسن الأمراني : سيمياء الأدب، مؤسسة الندوي ، وجدة، المغرب، ط2 ، 2005، ص:12.

المنارة للاستشارات

فالأدب في كل العصور وعلى اختلاف فنونه معبّر عن معتقد مبدعه، ولذلك ربط فلاسفة الفكر وعلماؤه، ونقاد الأدب ومنظروه في الغرب الأدبَ بالدين، فاعتبر **برجسون** أنّ « الفنّ ابن الدين، وإذا أراد الفن أن يبقى حيّا فعليه أن يستقي دائما من المصدر الذي جاء به » [1] وهذا **إليوت** يدعو صراحة إلى ربط الأدب بالدين المسيحي، بل دعا إلى ربط الأدب بالدّين برباط وظيفي وغائيّ منهجي قوي فهو يقول في مقاله عن (الأدب والدين):

« إنّ ما لديّ من قول أقوله في هذا الموضوع هو في أكثره دفاع عن القضيّة التالية: يجب أن يكمل النقد الأدبي بنقد قائم على موقف أخلاقيّ ولاهوتي محدّد ... فالأدب لا يمكن أن تحدّد عظمته بالمقاييس الأدبيّة وحدها، وإن كان الفيصل الأوحد الذي يحدّد الأدب من غير الأدب هو المقاييس الأدبيّة » [2] .

ولمّا كان الدين ظاهرة اجتماعيّة تجمع الأفراد على قيم ومبادئ تجدُ لها انعكاسا على حياتهم وسلوكهم، والأدب بالرؤية الاجتماعية هو مرآة راصدة لهذا الحراك وتعبير عن هذه الاجتماعية، لمّا كان الأمر كذلك لا يمكن لعقل واع أن يقول بفصل الأدب عن الدين لأنّ في ذلك فصل للأدب عن جوهر وجوده وحقيقة وظيفته.

هذه حقيقة تُقرّر في الغرب مع عقائد شابها الانحراف وأيديولوجيات وضعية يصمها القصور والميل إلى الماديّة، فما بالك بالعقيدة الإسلامية سماويّة التشريع روحانيّة التوجّه. هذا ما كانت ـ ويجب أن تكون ـ عليه طبيعة العلاقة بين الأدب والدّين الإسلاميّ « فالإسلام لا يحارب الفنون ذاتها، لكنّه يعارض بعض التصوّرات والقيم التي تعبّر عنها هذه الفنون. ويقيم مكانها ـ في عالم النفس ـ تصوّرات وقيما أخرى قادرة على الإيحاء بتصوّرات جماليّة إبداعيّة، وعلى

[1] وليد القصاب و مرزاق بن تبناك: إشكالية الأدب الإسلامي،دار الفكر، مشق، سوريا، ط1، 2009، ص: 317.

[2] نفسه، ص: 324.

المنارة للاستشارات

إبداع صور فنيّة أكثر جمالا وطلاقة، تنبثق انبثاقا ذاتيا من طبيعة التصوّر الإسلامي، وتتكيّف بخصائصه المميّزة » [1]

تعريف الأدب الإسلامي :

عرف تاريخ أدب اللّغة العربية تسمية " الأدب الإسلامي" في إشارة إلى أدب فترة محدّدة بظهور الإسلام إلى نهاية الخلافة الرّاشدة أو ما يُسمى بأدب صدر الإسلام . و عليه تكون دلالة التّسمية مرتبطة بالزّمنية التي يُقسّم على ضوئها تاريخ الأدب العربي إلى (أدب إسلامي – أدب أموي – أدب عباسي ... أدب معاصر) .

غير أنّ المفهوم الذي طرحه المهتمّون بآداب الشّعوب المسلمة يأخذ تحديدا آخر حيث يعرفه الدّكتور نجيب الكيلاني أنّه « تعبير فنّي جميل مؤثّر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة و الإنسان و الكون وفق الأسس العقائدية للمسلم و باعث للمتعة و المنفعة و محرّك للوجدان و الفكر و محفّز لاتخاذ موقف و القيام بنشاط ما » [2].

أمّا الدّكتور عماد الدّين خليل فيعرّفه بأنه « تعبير جمالي مؤثّر بالكلمة عن التصوّر الإسلامي للوجود » [3].

في هذا الأدب يلتقي الحسّ المبدّع مع التصوّر الإسلامي السّليم ، فتكون التجربة الإبداعية أكثر جمالا و أقرب إلى النّفس المؤمنة التي تجد في هذا الأدب استقرارها و اطمئنانها و مُتعتها . و يتحدّد معه التزام الأديب برسالته فيكون أدبه صمام أمان للقيم الفاضلة لا عامل هدم لها ، و ترسخ مع أدبه في فنيّة و جمالية تلك القيم الأصيلة .

---

[1] سيّد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة ، مصر، 1995، ص:104.

[2] نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط2، دار بن حزم، بيروت، لبنان،1992، ص:36.

[3] عماد الدّين خليل، ماهيّة الأدب الإسلامي،مجلّة الفيصل،دار الفيصل الثّقافيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة،ع78، 1403ه، ص: 07.

المنارة للاستشارات

إضافة الإسلاميّة إلى الأدب قد يراها البعض انحرافا بالأدب عن الفنيّة إلى الوعظ الدّيني فيتحوّل بذلك إلى دروس في الفقه و يصدر عن ذوق منهوك و فهم عقيم لكن الحقيقة عكس ذلك ، إذ المقصود بمنهج الأدب الإسلامي هو « محاولة رسم الطّريق الصّحيحة للأديب كي يوظّف ثقافته الإسلاميّة في خدمة مجتمعه ، و لا يعني ذلك تحويل الأدب إلى وجهة دينية صرفة بل توجيه الأديب إلى سلامة الذّوق و اللّغة و الفكرة و سموّ الهدف (...) فالأدب الإسلامي لا يعترف بالمدرسة الوعظية المباشرة » [1] و عليه لا يقصد بالإسلاميّة في الأدب أن تتردّد فيه كلمة إسلام أو يكون مرصّعا بالشّواهد القرآنية و الأحاديث النبويّة بل هي أسمى من ذلك،حيث يرى الكيلاني أنّها تعني « وجهة النّظر الدّينية للإنسان و الطبيعة فيما يتعلق بالمفاهيم الأدبية ونحن لا نعتبر الإسلامية مذهبا كالواقعية و الرّومانسية و الوجودية و البرناسية ... الخ . فالأدب أوسع من أن يُحيط به مذهب محدود و أرحب من أن تحصره في قيود من القواعد المحلية أو الطارئة (...) و تبعا لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية و الفنية أرحب من المذاهب وأسمى من القيود » [2].

و لمّا كان الأدب وثيق الصّلة بالبيئة الفكرية و الثّقافية التي يُكتب فيها فإنّ الأدب الإسلامي إقرار طبيعي لمجتمع مسلم و لا يمكن لأيّ أدب مناقض أن يحفظ القيم الأصيلة التي جاء بها الإسلام .

تاريخية المصطلح :

[1] محمد الصّالح الشّنطي، في الأدب الإسلامي قضاياه وفنونه ونماذج منه، ط2، دار الأندلس، حائل، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1997، ص:20،وهذا ما أكّد عليه الكاتب الكبير ثروت أباظة في قوله « على الأديب ألاّ يحاول أن يكون مشرّعا، أو أن يكون فقيها إسلاميّا، لأنّ هذا ليس عمله. الأدب الإسلامي هو أن يستلهم الدّين الحنيف في مثله العليا وفي سماته الرّفيعة». انظر: لقاء مع ثروت أباظة، مجلّة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالميّة، المملكة العربيّة السّعوديّة،ع6، 1995، ص:15.

[2] نجيب الكيلاني، الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة،ط1، مكتبة النّور، ليبيا، 1963، ص:47.

المنارة للاستشارات

يعود الإرهاص الأول لفكرة الأدب الإسلامي إلى الأديب الناقد سيد قطب (1906 . 1966) الذي كتب مقالا سنة 1951 عنوانه (منهج للأدب) عرض فيه ملامح أدب جديد يرتبط بقيم الإسلام وتصوراته ، واعتُبر هذا الطرح بذرا أولا لفكرة إسلامية الأدب ربما تكون دراسات سيد قطب القرآنية والفنية قد أفضت إليه .

سيد قطب مع تميّز طرحه الهادف لم تنته به جهوده إلى إطلاق مصطلح الأدب الإسلامي ، لكنّ هذه الجهود كانت دافعا لأقلام خطّت طريقا متميّزا يبحث عن علاقة الفن والجمال بقيم الإسلام العظيمة ، في صدارة هؤلاء شقيق سيد محمد قطب الذي أخرج كتابه " منهج الفن الإسلامي " الذي اعتُبر فتحا في مجاله إذ تكلّم عن التصور الصحيح للإسلام وتمثله في الحياة بعمومها وفي مجال الإبداع والفن على وجه الخصوص .

بعد الأخوين سيد ومحمد قطب جاء الدكتور نجيب الكيلاني (1931 ـ 1995) الذي رسم معالم الأدب الإسلامي وفصّل فيها القول تعريفا ووقوفا على الخصائص والمجالات، وعالج فيما كتب ملامح الكتابة والإبداع في الأدب الإسلامي واقفا على تجاربه الخاصة في ذلك وهو المبدع والناقد والمنظر ، من أهم ما كتب الكيلاني في هذا المجال كتابه الشهير " الإسلامية والمذاهب الأدبية " الذي دعا فيه إلى أسلمة الأدب ، وكتبا عديدة منها " مدخل إلى الأدب الإسلامي " و " رحلتي مع الأدب الإسلامي " " تجربتي مع القصة الإسلامية " .

مسيرة الحركة الواعية بالأدب الإسلامي عرفت الدكتور العراقي عماد الدين خليل الذي يعتبر ركنا ركينا في مسيرة التنظير والتأصيل للأدب الإسلامي من خلال جهوده الكبيرة وكتاباته المتميزة ، ومنها كتاب " في النقد الإسلامي المعاصر " الذي صدر سنة 1972 وهو في الأصل نقدات شتى كُتبت في الستينات ونُشرت في مجلات عديدة .

في مقام ذكر أعلام الأدب الإسلامي الأُول لا يتجاوز ذاكر اسم الشيخ الجليل العلامّة أبي الحسن الندوي المؤطّر للفكرة والمنهج لها من خلال دعوة سماحته

المنارة للاستشارات

إلى الندوة العالمية للأدب الإسلامي المنعقدة في لكنهو (الهند) بين 11 . 13 جمادى الثانية 1401 / 17 . 19 أبريل 1981 ومن توصيات هذه الندوة إقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي.

بعد الهند احتضنت المملكة العربية السعودية ندوتان الأولى في المدينة المنورة 5 . 9 رجب 1402 / 1982 والثانية احتضنتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رجب 1405 / أبريل 1985 .

في 02 ربيع الأول 1405 / 24 . 11 . 1985 تمّ الإعلان عن قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية في العديد من الصحف والمجلات ليكون مؤتمرها العام في جامعة ندوة العلماء بلكنهو (الهند) في ربيع الثاني 1406 / جانفي 1986 أين تمّ وضع النظام الأساسي للرابطة وانتخاب الشيخ أبي الحسن الندوي رئيسا لها ومقرها الرّئيس ندوة العلماء بلكنهو ولها مكتبان مكتب البلاد العربية ومكتب شبه القارة الهندية ز

بتأسيس الرابطة انتظم الاهتمام بالأدب الإسلامي فكرة وأعلاما من خلال نشاطات الرابطة في مكاتبها المتوزعة على بعض الأقطار الإسلامية وذلك بالتشجيع على الإبداع والنقد والتنظير واحتواء الجهود وتنسيقها في مجلاّت متخصصة منها مجلة الأدب الإسلامي الصادرة عن مكتب البلاد العربية بالرياض ومجلة المشكاة الصادرة عن مكتب المغرب وغيرها.وكذا من خلال الندوات والملتقيات والمؤتمرات المناقشة والمرافقة لجهود التنظير الواعي المعمّق لنظرية الأدب الإسلامي الحديث والمعاصر .

مجالات الأدب الإسلامي :

يعتمد الأدب الإسلامي على دعامتين هما التّصوير و التّصوّر :

1/ تصوّر نابع من القيم الإسلامية للكون و الإنسان و الحياة « يبدأ من الحقيقة الإلهية التي يصدر فيها الوجود كلّه ثم يسير مع هذا الوجود في كل صوره و أشكاله و كائناته و مجوداته و يعنى عناية خاصّة بالإنسان خليفة الله في الأرض فيعطيه مساحة واسعة من الصّورة ثم يعود بالوجود كلّه مرّة أخرى إلى

المنارة للاستشارات

الحقيقة الإلهية التي صدر منها و إليها يعود »[1] ومن خصائص هذا التّصور الرّبانية والتّكامل و الحيويّة و الشّمول (مخاطبة الإسلام للكينونة الإنسانية في شمولها و بكل أشواقها و حاجاتها) و الإيجابية التي تعني فعالية الإنسان في الكون . الواقعية التي تفرض التّعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي.

2/ تصوير يجسّد ذلك التّصور في أشكال فنيّة راقيّة ، تتوسّل الكلمة الطيّبة و يهدف إلى ترك الأثر الطيّب في النّفس الإنسانيّة سواء أكانت مبدعة أم متلقية لهذا الإبداع .

أولا . الكون :

الكون خلق الله العظيم و دليل قدرته و قوته و جماله و حكمته ، هو في التصوّر الإسلامي خلق متحرّك متجاوب مع الإنسان و يمكّنه من إدراك غايته و تحقيق وجوده ، كلّ ما فيه جميل ، تستلهم منه النّفس الإنسانيّة جمالها ، فالسّماء بساط واسع زينته النّجوم ﴿وَلَقَدْ زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لّلشّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السّعِيرِ﴾ [2] و الأرض فراش ممتد تثبته الجبال و يزيّنه الغرس و الزّرع وهي عون الإنسان على الحياة ﴿ وَلَقَدْ مَكّنّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ ﴾ [3] وكلّ ما في هذا الكون خُلِق بقدر فلا اضطراب و لا اختلال﴿إِنّا كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [4] التّأمل فيه عبادة يوصل إلى معرفة الله و الإيمان به ، وكل ما فيه خلق لغاية فلا عبث و لا مصادفة﴿وَمَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [5].

---

[1] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط6، دار الشّروق، بيروت، لبنان، 1983، ص:16.

[2] سورة الملك، الآية: 05.

[3] سورة الأعراف، الأية: 10.

[4] سورة القمر، الأية: 49.

[5] سورة الدخان، الأية: 38.

المنارة للاستشارات

« و القرآن يوجّه النّفس إلى جمال السّماء و إلى جمال الكون كلّه لأن إدراك جمال الوجود أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال الخالق و هذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه » [1]، فعنصر الجمال عميق في هذا الكون يظهر في كلّ كائناته و الإنسان واحد من هاتة المخلوقات مطالب – و هو خليفة الله في أرضه – بأن يتحسّس هذا المجال ليوصله إلى الإيمان الصّادق بالله فيلتقي بذلك أجمل ما في الإنسان ، و هو حاسّة الجمال بأجمل ما في الكون ، و ينتج عن هذا اللّقاء ارتقاء الإنسانيّة صُعدا حتى تشفّ و تصفو بالحقيقة الإلهية.

ثانيا . الإنسان :

الإنسان في التصوّر الإسلامي قبضة من طين و نفخة من روح،تمتزج فيه هاتان الخاصّتان في المفهوم الإسلامي القاضي بأنّ « الإنسان يقضي ضروراته الأرضية الحيوانية على طريقة الإنسان لا على طريقة الحيوان و يحقّق أشواقه الرّوحية الملائكية على طريقة الإنسان لا على طريقة الملاك » [2]، يجتمع مع الحيوان في ضروراته المادية لكن طريقة الإشباع عنده تختلف عن طريقة الحيوان فيدخل عليها سلوكا و تهذيبا و تجميلا و في مقابل ذلك تتطلّع نفسه إلى روحانية السّماء و تتشبّث بحبائلها لكن دون نزوع عن الأرض ﴿ و لا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ [3] فهو بين المرتبتين يعالج نفسه يسمو بها عن طينيتها إن هي أخلدت إلى الأرض و يشدّها بهذه الطينية حتى لا تنسلخ من إنسانيتها وتكون حياته بهذا المفهوم مرتبطة بالله كما تكون جزءًا من العمل الصّالح الذي ينبغي أن يقدّمه ، و منشأ هذا التصوّر أنّ الإسلام نظر إلى الإنسان « في واقعه الفعلي لا في عالم النظريات (...)الإنسان بدوافعه كلّها بحالاته كلّها معترف به و مقبولة على ما هو عليه .كلّ ما في الأمر أنّ الإسلام يسعى إلى تنظيفه و تهذيبه لكن لا

[1] سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ط10، دار الشّروق، بيروت، لبنان، 1982، ص: 3634.

[2] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي . مرجع سابق . ص:34.

[3] سورة القصص، الآية:77.

المنارة للاستشارات

يكبته و لا يحارب فطرته . طاقة الجنس نظيفة معترف بها في وضح النهار (...) و لكنه لا يريدها أن تتجاوز الحدود فعندئذ تنقلب إلى فاحشة (...) ومن ثم يضع لها "الضّوابط " التي تضبط منصرفها وتضع لها التوجهات التي تنظمها »[1] و بهذا جاء التصوّر الإسلامي للإنسان تصوّرًا شاملا متوازنا، ومن هذا الشّمول والتّوازن يمكن أن ينبثق فنّ إنساني يشمل حياة الإنسان في كلّ حالاتها، ضعفا وقوّة، هبوطا ورفعة، ويشمل جوانب هذه الحياة الرّوحيّة والماديّة ليكون بحقّ أقدر فنّ على استكناه عوالم الإنسان للتعبير عنها والتّأثير فيها.

ثالثا . الحياة

قدّم الأدب الإسلامي تصوّرًا شاملاً للحياة التي تجمع بين الإنسان و الكون،فعالج أسرارها و مجالاتها و غاص إلى جوهر الوجود الإنساني و بيّن حقيقته فهو يرى أنّ الحياة مزرعة للآخرة ، و العمل فيها يكون ادخارا لمرحلة أخرى تختلف عنها ، و هذا ربط للإنسان بالحقيقة الإلهية يضمن له التوازن في حياته مع نفسه و مع باقي المخلوقات،و الإسلام يهدف إلى هذا التّوازن الذي يجمع بين الثّبات والتّطور أو الثّبات و المرونة في تناسق بديع ، إنّه الثّبات على الأهداف و الغايات و المرونة في الوسائل و الأساليب،ثبات على القيم الدّينية و الأخلاقية ومرونة في الشّؤون الدّنيوية و العلمية والإسلام بهذا يتّسق مع طبيعة الحياة الإنسانية خاصّة و مع طبيعة الكون الكبير عامّة ، فقد جاء هذا الدّين مسايرًا لفطرة الإنسان و فطرة الوجود، فجاءت شرائع الإسلام صمّام أمان يحمي الإنسان من وهدة السّقوط في غياهب الماديّة السّاحقة ، انطلاقا من تصوّر سليم لحقيقة الإنسان و طبيعة علائقه بما حوله من المخلوقات كلّ ذلك في نظام جعل من حياته مرحلة العطاء و الفعاليّة و الإيجابية دون إغفال لجوانب الضّعف و النّقص فيه .

لقد أخذت الحياة الإنسانيّة صورًا مختلفة في الآداب الغربية فصوّرها الرومانسي شاحبة حزينة أثقلها الألم و صوّرها الواقعي المادي عالما ماديا يكون الإنسان فيه آلة إنتاج يرتبط وجوده بما ينتج ويغيب في ذلك شعوره و وجدانه، أمّا الوجودية

[1] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص:43.

المنارة للاستشارات

فرأت أنّ جحيم الفرد الآخرون وأنّه يشقى و يتعذّب في هذا الجحيم كلّ هذه المفاهيم عليلة لأنّها انطلقت من تصوّر خاطئ لهذه الحياة و عليه جاءت الآداب التي احتفلت بهذه الأفكار عليلة هي الأخرى لكن الأدب الإسلامي لا يقع في برثن هذه التصوّرات الخاطئة لأنّه « ليس أدب نحيب و بكاء و تعبد للآلام لكنّه تصوير لهذا الأسى النفسي وتصوير يرتبط بمعاني المعاناة و التطوّر و الثّورة على أسباب العذاب و المعاناة .نقطة تحريض وانطلاق إلى آفاق الانشراح و الابتسام و السّعادة (...) ليس الألم غاية في ذاته ، كما أنّ الحياة ليست ابتسامة عريضة كما تتوهّم الواقعية الاشتراكية و لكنها مزيج من الألم و الرّاحة و خليط من التّرح و الفرح » [1].

و ينبغي أن نشير إلى أنّ المقصود بالحياة ليس الواقع لأن الحياة أشمل من الواقع فهي أرحب مجالا وأوسع نطاقا أمّا الواقع فهو مرتبط بوضع خاصّ في مرحلة خاصّة « و من هنا كانت رؤية الأديب تتميز بالتقاط رؤى كليّة تضع الأمر في نصابه و ترقى إلى درجة من التجريد (...) و من هنا كان لا بدّ للأديب من أن ينفذ إلى صميم واقعه و يحي العوامل الفاعلة فيه و يعمد إلى تحليله و تفسيره من خلال رؤية فنية رحبة » [2].

خصائص الأدب الإسلامي :

يلخّص الدّكتور نجيب الكيلاني في دراسته التنظيرية للأدب الإسلامي [3] خصائصه فيما يلي :

1- الأدب الإسلامي ليس أدبا مجانبا للقيم الجمالية فهو يحرص عليها أشد الحرص بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها و التّراث الجمالي العالمي ملكية شائعة كالدين و الفلسفة و العلوم لا يحتكرها شعب دون آخر .

---

[1] نجيب الكيلاني، الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة . مرجع سابق . ص:94.

[2] محمد الصّالح الشّنطي، في الأدب الإسلامي قضاياه وفنونه ونماذج منه . مرجع سابق . ص:84.

[3] نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي . مرجع سابق . ص:32.

المنارة للاستشارات

2- الأدب الإسلامي يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النّابع من قيم الإسلام العريقة ويجعل من ذلك المضمون و من الشّكل الفنّي نسيجا واحدا معبّرا أصدق تعبير .

3- الأدب الإسلامي يستوعب الحياة بكلّ ما فيها و يتناول شتىّ القضايا و مظاهرها و مشاكلها وفق التصوّر الصّحيح لهذه الحياة و لا يزيّف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا .

4- الأدب الإسلامي يُعبّر بصدق و أمانة عن آمال الإنسان الخيّرة و يتناول نواحي الضّعف والتردّد فيها لفهمها و الشّفاء منها و تصوّر الأدب الإسلامي للإنسان نابع من وصف الخالق للمخلوق

و هو أمر يجب أن يحفل به الأديب المسلم بعد أن قدّمت الآداب الغربية و الشّرقية أيضا نماذج شوهاء للإنسان و جعلت من القسوة بطولة وحريّة ووضعت من التمرّد الفاسد تحقيقا للذّات وإعلاء لشأن المخلوق .

5- الأدب الإسلامي ليس عبثيّا و لا يمكن أن يكون كذلك فليست الحياة و لا قصّة الخلق أو دور الفكر و لا حادث الميلاد عبثا.فالحياة امتحان و تجربة و دار أعمال خلقت لهدف و غاية و رسم لها الخالق سننا و شرائع و نظاما و قيما .

6- الأدب الإسلامي ليس قواعد جامدة أو صيغ معزولة عن الحياة و الواقع أو خطبا تثقلها النّصوص و الأحكام و لكنّه صور جميلة نامية متطوّرة .

7- الأدب الإسلامي أدب الضّمير و الوجدان السّليم و التصوّر الصّحيح و الخيال البنّاء و العواطف المستقيمة لا ينحرف إلى انحراف نفسيّ أو اعتلال شعوري أو مرض فلسفي تفشّت جراثيمه في الماء و الهواء و الفنون و الأفكار و السّلوكيات .

8- الأدب الإسلامي أدب الوضوح لا يجنح إلى إبهام مضلّل أو سوداوية محيّرة قاتلة أو يأس مدمّر

المنارة للاستشارات

9- الأدب الإسلامي لا يمكن أن يصدر إلا عن ذات نعمت باليقين و سعدت بالاقتناع و تشبّعت بمنهج الله و نهلت من ينابيع العقيدة الصّافية و من ثمّ أفرزت أدبا صادقا .

قضايا الأدب الإسلامي :

طُرح مفهوم الأدب الإسلامي و آثار طرحه جدلا كبيرا و تعدّدت القضايا التي أثيرت حول هذا المفهوم فتناولها عدد من النّقاد المهتمين بهذا الأدب و من جملة هذه القضايا ما يلي :

أولا- المصطلح :

مصطلح "الأدب الإسلامي" مصطلح جديد لم يُوفّ حقه من الانتشار و لا أدلّ على ذلك من غرابة هذا المصطلح لدى بعض الدّارسين،وكذا لحظّه القليل من ساعات الدّرس في كبرى الجامعات و الكليّات العربيّة، إذ لم ينشأ له قسم مستقلّ في أيّ كليّة، و إن كان قد أضيف إلى قسم البلاغة والنّقد في كليّة اللّغة العربيّة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، و بالتّالي فطرحه نسبي و لعلّ هذا يبرّر إلى حدّ ما موجة التردّد و الخوف من الاعتراف به، فكان الأمر بين معترف ورافض.

و كان الرّافضون بين خائف على الأدب و خائف منه « فأمّا الخائفون عليه فهم الذين يدافعون عن هويّة الأدب العربي الذي يجسّد هذه الأمّة (...) فهم يخافون أن يُضيّق مصطلح "الأدب الإسلامي" واسعا و أن يجزّئ تراث الأمّة و أن ينفي كثيرا من آياته الباهرة و فوائده الرّائعة و أن يسقط من حسابه كثيرا من الشّعراء الذين يعتز بهم الأدب العربي في تاريخه الطويل و أن يجعل للدّين القيمة العليا في الأدب و يهمل التّجويد الفني (...) و منهم الذين يرفضون اللّغة المرتبطة بالقرآن و الحديث (...) و منهم الذين يبحثون في همّة و شأن عن تراث الخروج و الشّذوذ و الرّفض و التحلّل (...) و منهم الذين يذهبون إلى أنّ غاية الأدب و الفنّ جمالية بحتة و يرفضون أن تكون للأدب غاية وراء ذلك » [1].

[1] عبده زايد، بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، مجلّة الأدب الإسلامي ، ع06، ص:11.10.

المنارة للاستشارات

كلا الفريقين قد جانب الصّواب في نظرتة و منشأ ذلك قصور منهم لهذا المصطلح الجديد و من جهل شيئا عاداه إن الأدب الإسلامي أدب يعبّر عن هويّة أمّة تربط أفرادها تعاليم الإسلام ومصطلح الأدب الإسلامي إنمّا « يمثّل دعوة لتصحيح مسار الأدب العربي و ربطه بجذوره لتوثيق صلته بآداب الشّعوب الإسلامية التي تتّفق معه في التصّور و الغاية و إن اختلفت اللّغة »[1].

فالأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي لأن بينهما وشائج لا تنفصل فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي و هو لا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي أو العباسي بما فيه من شعر أو نثر يوافقه أو يخالفه ، أمّا المسألة الجمالية فسيأتي الكلام عنها لاحقا في عنصر مستقل .

و في سياق مناقشة هذا المصطلح تطرح أيضا بدائل عدّة . في محاولة لضبط المفهوم . منها "الاتجاه الإسلامي" أو "أدب الشّعوب المسلمة" و "الأدب الدّيني" غير أنّ هذه البدائل لا ترقى إلى الدّلالة الدّقيقة على المفهوم المقصود. حيث لا تقبل تسمية "الاتّجاه الإسلامي" لأنّ في ذلك تهوينا لشأن الأدب الإسلامي و حصرا له ، إذ جعل منه مجرّد اتجاه يظهر حينا و يختفي حينا آخر ، على أنّ هذا الرّفض لا يعارضه أن يُقبل هذا الوصف تعبيرا عن واقع أدب تتعدّد اتجاهات الإبداع فيه لتشمل هذا الاتجاه الإسلامي ، أما تسمية "أدب الشّعوب الإسلامية" فلا تدلّ على مذهب أدبي كما أن آداب هذه الشّعوب الإسلامية لا يمكن أن تدخل كلّها في مفهوم الأدب الإسلامي ، إذ فيها ما يعارض التصوّر الإسلامي و يخالفه .

و أما تسمية "الأدب الدّيني" فوجه الرّفض لها هو أنّ الغرض من إطلاقها هو جعل الأدب مرتبطا بمجال محدود ضيق لا يتجاوز هذه الموضوعات الدّينية في حين أن الأدب الإسلامي هو أدب الحياة دينا و دنيا .

قضية أخرى يثيرها مصطلح "الأدب الإسلامي" تتمثل فيمن يشملهم وصف "الإسلامية" بمعنى هل يكفي أن يوافق الإبداع الأدبي روح الإسلام و تصوّره كي يوصف بالإسلامية ، أم يجب أن يكون مصدره إسلاميا أي أن يكون الأديب مسلما ؟

[1] نفسه، ص: 12.

المنارة للاستشارات

يرى فريق من النّقاد أن النّقد الإسلامي يمكنه أن يُدرج في حقل الإسلامية كلّ عطاء أدبي يتمثّل مجموعة من الرؤى الإيمانية و القيم الإيجابية ، و لو كان صاحبه بعيدا عن الإسلام من حيث التصوّر و السلوك ومن هؤلاء الدكتور عماد الدين خليل و الدكتور سعد أبو رضا و الأستاذ محمد قطب في "منهج الفن الإسلامي" حيث ضمّن كتابه هذا نماذج لأدباء غير مسلمين لرؤيته أن إبداعاتهم تلتقي مع التصوّر الإسلامي فأورد نصا للشّاعر الهندي "طاغور" بعنوان "رحلة إلى السوق" كما أورد نصّا مسرحيا للكاتب الإيرلندي "جون ميلينجتون سينج" بعنوان "الرّاكبون إلى البحر"

و هذا في الفصل الأخير من الكتاب بعنوان "في الطريق إلى أدب إسلامي" و لعلّ هذا الموقف يسعى أصحابه إلى كسب المواقع بدلا من خسرانها و إعطاء قضية المضمون بعدها الغالب .

أما الفريق الآخر فهو مع أن إسلاميّة الأدب لا تكون إلاّ بإسلام الأديب و يعتبر أنّه من غير الممكن التسليم بالرّأي السّابق « فإنّ الإسلام دين و عقيدة قبل كلّ شيء و بالتّالي فإنّ أيّ وصف للأدب بأنّه إسلامي ينسحب تلقائيا على قائله و لا ينحصر في نطاقه ، كيف يمكن أن نصف أدبا صادرا عن أديب هندوكي أو نصراني أو يهودي بأنّه أدب إسلامي يمكننا أن نقول أنّه أدب فيه بعض السّمات التي تتّفق مع التصوّر الإسلامي »[1]

ثانيا – المسألة الجمالية :

تطرح هذه المسألة و يلحّ في طرحها الرّافضون لفكرة ربط الأدب بالدّين عموما و بالإسلام خصوصا لرؤيتهم أنّ ذلك يوجّه الأدب وجهة تنحرف به عن ينابيع المجال الفنيّ و تبتعد في تقصّي المضامين الفكريّة و الأخلاقية فيأتي الأدب خواء إلى كلّ عنصر فنيّ و يتحوّل خُطبا وعظيّة أو شيئا من هذا القبيل ، و لعلّ منشأ

[1] محمد الصّالح الشّنطي، في الأدب الإسلامي قضاياه وفنونه ونماذج منه . مرجع سابق . ص:36.

المنارة للاستشارات

هذا الحكم القاصر هو سوء فهم حقيقة الإسلام ابتداء و حقيقة الأدب الإسلامي انتهاء .

إنّ الإسلام دين الفطرة و الجمال جعل من هذا المجال سببا من أسباب الإيمان و عنصرا من عناصره « و الإسلام الذي أمر المؤمنين أن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد و علمهم أنّ الله نظيف يحب النظافة جميل يحبّ الجمال لم يتنكر في يوم من الأيّام للجمال الذي هو من صنع الله و إبداعه » [1] الله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم و خلق السّماوات و زيّنها بالنّجوم و الكواكب و خلق الأرض و زيّنها بالمروج و الجّداول و الأنهار و جعل كل ذلك آيات يستمتع بها الإنسان و طريقا يوصله إلى الإيمان « إِنّ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللّيْلِ وَالنّهَارِ وَالْفُلْكِ الّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السّمَآءِ مِن مّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثّ فِيهَا مِن كُلّ دَآبّةٍ وَتَصْرِيفِ الرّيَاحِ وَالسّحَابِ الْمُسَخّرِ بَيْنَ السّمَآءِ وَالأَرْضِ لاَيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » [2]

و الأدب الإسلامي هو ثمرة من ثمار تصوّر إسلامي عام لا يتنكّر للجمال إنمّا « يُعلي القيم الجمالية و يُعلي شأنها و يحيطها بسياج من العفّة و النّقاء و الطّهر و يفتح الباب واسعا أمام الإبداعات الفنيّة الأدبيّة الخلاقة و يزيد "الكلمة الجميلة" تشرّفا حينما يكلّفها بأعظم رسالة و أسمى مهمّة و أرقى دعوة نزل بها الرّوح الأمين » [3]

لقد تناول المسألة الجمالية عدد من الدّارسين الذين نهضوا بمهمّة التعريف بالأدب الإسلامي و تبيان معالمه من بينهم الدكتور نجيب الكيلاني في كتابيه "مدخل إلى الأدب الإسلامي" و "تجربتي الذاتية في القصّة الإسلامية" و الدكتور عدنان علي رضا النحوي في مؤلفه "الأدب الإسلامي إنسانيّته وعالميّته" و الدّكتور عماد الدين خليل في "مدخل إلى نظريّة الأدب الإسلامي" و غيرهم

[1] نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي. مرجع سابق. ص:98.

[2] سورة البقرة، الأية: 164.

[3] نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي. مرجع سابق. ص:98.

المنارة للاستشارات

كثير، وزبدة القول في هاته المسألة أنّه « إذا كان الأدب أساسا هو التعبير الجميل فإنّ الفكرة هي عماد العمل الأدبي ، و لها هي الأخرى جمالها ، لأن العمل الأدبي لا يتجزّأ ، و الجمال ينسحب على الشّكل و المضمون معا »[1]. فالأدب الإسلامي يلتقي مع القائلين و الملحّين على الجمالية في الإبداع الأدبي ، و لا يشعرون بتناقض القيم الجمالية و محتواها الفكري أو العقائدي ، و قيام الأدب برسالة لتحقيق القيم الإنسانية العليا التي تحقّق السّعادة للفرد و المجتمع، و تجده (الأدب الإسلامي) أبعد ما يكون عن الفكرة البرناسية أو مذهب الفنّ للفنّ لأنّه يرى « أنّ اختصار الفنّ على دور البحث عن المجال وحده تعطيل لوظيفة ، و هو الذي يمكن أن ينقل الفنون و الآداب إلى متاهات العبثية ومهما كان المجال مطلوبا لذاته فإن فعاليته تكون أقوى و أجدى إذا ارتبطت أسبابه بتحلّي الحقائق و إشراقها »[2].

ثالثا – عالميّة الأدب الإسلامي :

العالميّة في الأدب صفة يطمح إليها كل أديب ، و مرتبة تجعل الإبداع متناولا في أوسع نطاق جغرافي بأعلى درجات المقروئية ، فهي شهادة بالتفوّق و التميّز في استيعاب التّجربة الإنسانيّة العامّة التي لا يحدّها مكان و لا يؤطّرها زمان،وتتحقّق هذه العالميّة عندما ينتقل الأدب بطريق التّجربة وبلغته الأولى من المجتمع الذي أبدع فيه إلى مجتمعات أخرى ، و ينتشر فيها متجاوزا الحدود الجغرافية و السّياسية و الثّقافية،وهذا الوجه من العالميّة يمكن اعتباره عالميّة الانتشار،ينضاف إليه نوع آخر هو عالميّة الإبداع حيث تتكرّر التّجربة الإنسانيّة بملامحها الرّئيسة في مجتمعات مختلفة اللّغات والظّروف و الآداب التي تعبّر عنها تكتسي ثوب العالميّة .

الأدب الإسلامي أدب يحقّق عالميّته من مرحلة الإبداع إذ أنّ « سمات المفهوم الإسلامي للأدب سمات إنسانيّة عالميّة ترتبط بالنّفس الممتزجة بموضوعات

[1] نفسه، ص:94.

[2] نفسه، ص:93.

المنارة للاستشارات

الوحي الإلهي و المبادئ الدّينية القويمة و أنّ هذا الشّمول و العموم يجعل الإسلاميّة أقرب إلى الكمال و أدعى إلى الإتّباع أو الاعتناق،إنّ عدم ارتباطها ببقعة من الأرض جعلها ملكا للنّاس أجمعين و عدم تشبّثها بالنّفوس المريضة المنحرفة وهبها صفة التعميم و المواءمة لبني البشر كلّهم و هي في نفس الوقت لا تمانع أن يحبّ الإنسان موطنه ويخلص له لكنّها تقف في وجهه إذا تحوّل مجرد الحبّ إلى عصبيّة عمياء تصادم المثل العليا و المبادئ الدّينية المؤكّدة » [1].

أمّا مرحلة الشّيوع و الانتشار فتتحكم فيها عوامل سياسية و ثقافية قد تختلف من قطر إلى آخر فالأدب الإسلامي في كلّ مجتمع ينتجه أدباء تشبّعوا بقيم الدّين و مثله يصدرون في أعمالهم عن رؤى إسلامية للكون و الإنسان و الحياة فإن اختلفت المجتمعات و تعدّدت اللّغات و تباينت أنماط الحياة فإنّ المشكاة التي يُستضاء بها واحدة و الهدف المقصود واحد ، و أقرب الأمثلة في هذا الموضوع . إضافة إلى الأدب العربي الذي انتشر لارتباطه باللغة العربية لغة القرآن . الأدب الإسلامي في اللغة الفارسيّة و الأرديّة و التّركيّة حيث ظهر عدد من الأدباء أبدعوا أعمالا أدبية إسلاميّة في هذه اللّغات ومن هؤلاء في الأدب الفارسي محمد إقبال الذي كان له أثر كبير بين المسلمين في الهند و تجاوزت شهرته البلاد الإسلاميّة والعربيّة حيث تُرجمت أعماله إلى لغات عدّة منها العربيّة و من هذه الأعمال "أرمغان حجاز و أسرار خودي" كما كان له إبداع كبير في اللّغة الأرديّة التي أصبحت لغة الثّقافة بين المسلمين بفضل الأعمال الأرديّة التي كتبها عدد من الأدباء البارعين كإقبال و ألطاف حسين و أحمد خان و غيرهم من جعلوا إبداعهم الأدبي منبرا من منابر التوجّه الإسلامي الذي ربط الأدب الأردي بالقيم الإسلاميّة و هذا من خلال أوضاع المسلمين في الهند و التحديّات السّياسيّة التي تواجههم و الصّدام مع الهندوس و تيار الثقافة التغريبي و في الأدب التّركي نجد محمد عاكف أرصوي الذي جعل شعره منبرا إسلاميا قويّا ، يستثير المشاعر

[1] نجيب الكيلاني، الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة . مرجع سابق . ص: 66.

المنارة للاستشارات

الإيمانيّة في نفوس الأتراك ليدافعوا عن دينهم و أرضهم و قد شاعت قصائده بين الأتراك وصارت إحداها فيما بعد النّشيد القومي التركي .

عالميّة الأدب الإسلامي بهذا الطّرح تفصل في قضية أخرى مرتبطة بها و هي لغة الكتابة في الأدب الإسلامي حيث نجد من تعصّب للّغة العربيّة و اعتبرها لغة الكتابة الوحيدة لهذا الأدب و ما كتب يعتبرها لا ينحصر في دائرة هذا الأدب و هناك من اعتبر الإسلامية تجاوزا لحد اللّغة و من هنا يقرّر نجيب الكيلاني أنّ اللّغة العربيّة هي« اللّغة الطبيعية و الأساسيّة للأدب الإسلامي و لكن هذا لا يعني قصر الأدب الإسلامي عليها وحدها لأن تباين العالم الإسلامي و اختلاف لغاته يجعل من الضّروري لهذا الأدب العالمي أن يكتب بلغات أخرى كالفارسية و الأردية و التركيّة و الإنجليزية و الفرنسية والألمانية..» [1]

رابعا- الأدب الإسلامي و المذاهب الأدبية :

عرفت السّاحة الأدبية ظهور عدّة مذاهب تنوّعت من مذهب كلاسيكي عبّر عن النّظريات التجريدية للفلسفة العقلية و عن الفكر الأرستقراطي في المجتمع الأوربي إلى مذهب رومانتيكي كان ثورة على التّقاليد و على الفلسفة المثالية العقلية أعاد السّلطان إلى القلب على العقل و أسرف في النزعة العاطفية ، ثم إلى واقعية نادت بالاعتماد على المحسوس و الواقع و تنوعت إلى واقعيات طبيعية و نقدية و اشتراكية ، إضافة إلى مذاهب أخرى كالبر ناسية (مذهب الفن للفن) و الرمزية والسّريالية كلّ هذه المذاهب لم تنشأ مصادفة بل هي نتيجة طبيعية لأمرين لابدّ من تحقّقهما ، الأمر الأول وجود قاعدة فلسفيّة تحدّد أصول النّظرية التجريدية و الثاني وجود عوامل تطوّر في المجتمع من حيث نظامه السّياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الفكري تتيح لتلك النّظرية التّجريدية فرصة السّريان و التأثير ، و المذهب الأدبي ليس في الحقيقة غير تجسيد تعبيري للقاعدة الفلسفية المجرّدة

[1] نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي . مرجع سابق . ص:43.

المنارة للاستشارات

و لقد استجاب الأدب لحمل أفكار هذه المذاهب و صار وجها من وجوهها دون أن يفقد شيئا من خصائصه الأدبية لكن هذه المذاهب عجزت عن تأطير التّجربة الإنسانية لتباينها و اختلافها إلى حدّ التناقص غير أنّها في المقابل ساعدت على صبغ الأدب بصبغة عالمية حيث أوجدت صفات مشتركة بين عدد من آداب الأمم المختلفة ، و لما كانت مشارب هذه المذاهب و مصادرها مختلفة عن بيئتنا العربية الإسلامية ، فإنّه لم يجسّد أي مذهب منها فلسفتنا العربية الإسلامية على الرغم من تأثّر بعض أدبائنا بالمذاهب الغربية و إبداعهم المعتبر في إطارها ، و انتهى أدبنا العربي إلى حقل تجارب تتعاوره الأهواء و تسير به فلسفات غربية عن بيئته بسبب الانبهار بالحضارة الغربية و إنجازاتها في كلّ المجالات .

و من هذا المنطلق يتموقف الأدب الإسلامي من هذه المذاهب كأدب إنساني يصدر عن تصوّر سليم صحيح بعيد عن الانحراف و الشّذوذ ، فهو يقبل كلّ ما يحتكم إلى ضوابطه و أطره و ينفي ما خالف ذلك و يتلخّص موقفه من هذه المذاهب في ضرورة الاستفادة من الآخر في شتّى المعطيات التقنيّة و الشّكلية و الجمالية شريطة أن لا تصطدم بالرؤية الإسلامية ، فهو متفتح على كلّ المذاهب الفنية ما دامت منسجمة في اتجاهاتها و تفاصيلها مع حركة الكون و الإنسان الإيجابية في سبيل الحقّ و العدل الأزليين ، و في إطار الجمال المبدع بعيدًا عن التزييف و الكذب و التّناقض ، إنّه مرن بحيث يتّسع لكل المذاهب و يزيد عليها في سعته الكونية و عمقها و شمولها ، و هو عمومًا أدب الإنسانية بأدقّ معانيها و في هذا السّياق يقدّم نجيب الكيلاني تصوّره لهذا الأدب ، فيقول « إنّ الأدب الإسلامي ليس أدب نحيب و بكاء و تعبّد للألم لكنه تصوير لهذا الأسى النفسي و تصوير يرتبط بمعاني المعاناة و التطهّر و الثّورة على أسباب العذاب و المعاناة ، نقطة تحريض و انطلاق إلى آفاق الانشراح و الابتسام و السّعادة ، ليس الألم غاية في ذاته (...) كما أنّ الحياة ليست ابتسامة عريضة دائمة كما تتوهّم الواقعية

المنارة للاستشارات

الاشتراكية ولكنّها مزيج من الألم و الرّاحة . خليط من التّرح و الفرح جمع بين الابتسامات و الدّموع » [1].

خامسا : الأدب الإسلامي ومفهوم التفاعل النصي

مفهوم التّفاعل النّصي :

نستعمل في هذا البحث مصطلح "تفاعل نصي" تعبيرا عمّا عرف لدى "جوليا كريستيفا Julia kristeva " بمفهوم التّناص و المتعاليات النصية و عند "جيرار جنيت Gerard Genette " مسيرا على تصوّر "سعيد يقطين" المؤسَّس على طرح "جيرار جنيت و تفضيل هذه التسمية عن المتعاليات راجع إلى دلالتها الدّقيقة على الظاهرة ، أما عن التّناص فلاعتبار هذا الأخير واحدا من أنواع التفاعل النصي أو المتعاليات النصيّة مضافا إلى المناص والميتانص .

تتحقّق إنتاجية النّص في إطار البنية التي ينتمي إليها و هو ما يعني :

أ- أنّ علاقته باللّسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءه) ...

ب- أنّه ترحال للنّصوص و تداخل نصي ، ففي فضاء نص معيّن تتقاطع و تتنافى ملفوظات عديدة متقطّعة من نصوص أخرى » [2].

هذا ما يجعل التفاعل النّصي أصلا ثابتا في النّص يحصل بدءا عن طريق اللّغة التي ينتج ضمنها و يخضع لقواعد الكتابة التي يلتزم بها المجتمع ليصل إلى مستوى يكون فيه النّص نقطة تتقاطع معها مجموعة من النّصوص و عليه في دراسة هذا التفاعل « نسعى إلى تفكيك النّص (...) بهدف معاينة علاقة النّص بغيره من النّصوص التي حاول تمثّلها و استيعابها و تحويلها في بنيته النصيّة لتصبح جزءا أساسيّا من بنيته و بنائه » [3] مع ملاحظة أن هذا التّفاعل لا

---

[1] نجيب الكيلاني، الإسلاميّة والمذاهب الأدبيّة . مرجع سابق . ص:70.

[2] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، ط1،دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،1991،ص:21.

[3] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي . مرجع سابق . ص:91 .

المنارة للاستشارات

يقتصر على النّصوص السّابقة للنّص بل يكون بين النّصوص حتّى و إن كانت متعاصرة ، و هذا يعطي التّفاعل ديناميكيّة و حركيّة في الإبداع و شمولا يحقّقه تعدّد المتفاعل النّصي و تجاوزه للمكتوب إلى غير المكتوب من خلال عمليّة التلفيظ التي يتمّ من خلالها تحويل الحدث إلى نص .

أهميّة التّفاعل تكمن في طريقة توظيف المتفاعل النصي التي تكون محكّا لإبداعية الكاتب الذي قد يعيد إنتاج المقول وفي ذلك إلغاء لخصوصيّته الإبداعية وقد تكون البنيات المتفاعل معها محفّزا له على الإبداع و التّجاوز فيقدّم الكاتب أحسن ممّا قبل ليكون تفاعله في هذه الحال إيجابيا يتجاوز المحاكاة و الاستنساخ و يحقّق له القدرة على إنتاج نص جديد يحاور النّصوص المتفاعل معها دون أن يأتسر بها و هذا ما يفسّر أنّ التّفاعل النّصي يكون من خلال المادّة أو الموضوع و« نادرا ما يتجسّد على صعيد الأسلوب أو الكتابة ذلك أن أغلب الكتاب يظلّون يرون في الكتابة الطّريقة الخاصّة التي يتميّزون بها في تقديم المادّة المتفاعل معها »[1].

الأدب الإسلامي ومفهوم التّفاعل النّصي

من خلال ما تقدّم من تحديد لمفهومي الأدب الإسلامي و التّفاعل النّصي يتحدّد لنا أنّ الالتزام الذي يجعل الأدب يمتح من منظومة قيميّة تنسبه إلى الأدب الإسلامي . هذا الالتزام . يُعدّ شكلا من أشكال التّفاعل الإيجابي مع القيم الرّوحيّة الإسلاميّة، ويمكن للتّفاعل النّصي أن يكون آليّة من آليات تحقّق إسلاميّة الأدب، و لا يمكن اعتبار الأدب الإسلامي مجرّد تفاعل نصيّ للاعتبارات التّاليّة:

1. التعبير في الأدب الإسلامي عن القيم الإيجابيّة لا يخضع فقط لإجراءات التّفاعل النّصي القائمة على تقاطع النّص المتفاعِل مع بُنى نصيّة موجودة سلفا في نصوص أخرى.

[1] سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي،ط1، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،1992،ص: 102.

المنارة للاستشارات

2. التّفاعل النّصي ليس مقصورا على البُنى النصيّة التي تصلح أن تكون مادّة للأدب الإسلامي، بل هناك متفاعلات نصيّة تناقض جوهر هذا الأدب.
3. من أشكال التّفاعل الميتانصيّة التي تقوم على المعارضة والمناقضة للبُنى المتفاعل معها، وهذا متعلّق بإيديولوجيّة المبدع ومنطلقه الفكري، فقد يُعارض صحيحا مُثبتا تؤكّده القيم الدّينيّة وتعاليم الإسلام، فيخرج بذلك في خطّ معاكس لحقيقة الأدب الإسلامي القائمة على توسّل الإبداع الأدبي للتعبير عن هذه القيم الأصيلة.
4. إنّ مفهوم التّفاعل قديم، وكان اهتمام الباحثين العرب به متقدّما، مع هذا لم نجد من منظّري الأدب الإسلامي من ربطه بالتّفاعل النصيّ، على الرّغم من أنّ النّصوص المبدعة فيه تزخر بأمثلة التّفاعل النصيّ على تنوّعها.

وعلى هذا الأساس فالأدب الإسلاميّ أوسع من أن تحدّه آليات وإجراءات التّفاعل النصيّ، كما أنّ طبيعته لا تمنع أن يتحقّق التزامه من خلال هذا التّفاعل .

ختاما نستطيع أن نقرّ من خلال ما سبق تبيانه من مفهوم للأدب الإسلامي وما يرتبط به من قضايا استثارها نقاش القبول والرفض لهذا المصطلح نستطيع أن نعتبر أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي هي في حقيقتها دعوة إلى ترشيد مسار الإبداع في الأدب عموما، وفي الأدب العربي على وجه الخصوص، باعتباره أدبا يبدع في إطار اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، وأدبا معبرا عن هوية أمّة ارتبطت بالهوية الإسلامية أكثر من أي رابط آخر، وهذه في جوهرها دعوة إلى ارتقاء الفكر، ونقاء الذوق وصفائه من خلال ربط الأدب بالتصور الإسلامي الصحيح للكون والإنسان والحياة .

المنارة للاستشارات